منى سالم

المشهرات

رواية

لوحة الغلاف للفنان/ عصمت داوستاشى
الرسوم الداخلية للفنان/ أحمد الأسيوطى

مطبوعات القصة

تصدر عن ندوة الاثنين بالإسكندرية

إشراف

عبد الله هاشم

الإهداء

إلى النبع الصافى
والحضن الدافئ
والقلب الوافى
أمى

إلى أعز الناس وأغلاهم
أخواتى.. بالحب نعيش
وبه تقترب المسافات

منى سالم


جهاد صلاح الدين

منى سالم وعالم المشهرات

بقلم/ محمد جبريل

فى تعريف للتراث أنه "عملية طبيعية تنتمى كل الانتماء إلى العملية الحضارية، فهو لم يوضع وضعا، وإنما نشأ من خلال عملية معقدة، تتراكم فيها المعارف الحياتية والكونية، وهذه المعارف تظل تنقى وتغربل حتى تستقر فى تشكيلات فنية ذات قيم إشارية عالية".

إن حكايات الأبطال والسير الشعبية والمواويل القصصية والأمثال والحكم والرقصات، وما يصحبها من غناء وموسيقا ورسوم ساذجة وصناعات بسيطة، تصور كلها حياة المجتمع من نواح كثيرة، ولا يمكن لباحث فى تاريخ المجتمع أن يتجاهل هذا التراث الذى يمكن أن ينير له الطريق لكى يستطيع فهم عقلية المجتمع وعادات أفراده وحياتهم عامة، مما يتيح له أن يدرس تاريخهم بشكل أسهل وأكثر يسرا.

الموروث الشعبى هو المفتاح الأساس لفهم حضارة أى شعب،

معتقداته وعاداته وتقاليده. والثابت –تاريخيا– أن التراث الشعبى حظى باهتمام حقيقى فى كتابات ابن خلدون، أول عالم اجتماع بالمعنى العلمى فى الوطن العربى.

والموروث الشعبى المصرى جزء من موروثنا الثقافى بعامة، جزء فى النسيج الثقافى المصرى، تتداخل الخطوط والألوان والتكوينات، فتصنع التكوين الثقافى المصرى، على المستويين الفردى والجمعى، إنه يدخل فى وعى –ولا وعى– الإنسان المصرى، ويفيد منه، بلا تعمد ولا إرادة، يتداخل –بصورة أكيدة– فى أفكاره وتأملاته، وطريقة تعامله، ومفرداته الكلامية.

واللغة هى البعد الأهم فى هذا الموروث، لأنها الوعاء الذى يضم ما يعبر به الشعب عن حضارته: أسماء الأفراد والأسر، ومفردات حياتهم اليومية من تعبيرات وأمثال.

إن الإنسان المصرى يحيا حياته، يعانيها، ويستخلص من معاناة الحياة خبرة ورؤية وحكمة، يلخصها جميعا فى مفرداته اللغوية.

والمثقف مواطن مصرى، ولد ونشأ، فى مصر، وتكوّن ثقافيــا –فى مراحل عمره– فى البيت والمدرسة والجامعة والشارع والمسجد إلخ.. من ذلك كله يتألف موروثه الثقافى –والموروث الشعبى قيمة أهم فيه– فهو لا يستطيع الزعم أنه لم يتأثر به. إنه

يتحدث باللهجة العامية بما تتضمنه من مفردات متميزة، مغايرة للفصحى، وللهجات الأخرى، يلجأ إلى الخبرات السابقة، ويضمّن أحاديثه العادية تراث هذا الشعب من أمثال وألغاز وعبر ومواعظ وحكايات وسير.

***

هذه الرواية بانوراما لموروثنا الشعبى فى المعتقدات والعادات والتقاليد. لا أعرف إن كانت منى سالم قد أضافت إلى التجربة المعاشة والمشاهدة والتأمل، قراءات موسعة لتضيف إلى روايتها. البانوراما التى تقدمها الرواية تشمل دورة الحياة، وهو ما قد لا يطيقه الفنان، أو بتعبير أقل تهذيبا: أشك فى أن الفنان يستطيعه، ما لم يلجأ إلى خبرات الآخرين ودراساتهم وأبحاثهم.

أيا يكن الأمر، فمن الواضح أن منى سالم قد تعرفت إلى بيئتها جيدا. أدركت ما أفرزته فطرة البيئة، وما يعد مقحما عليها. أحسنت الالتقاط والتسجيل والغربلة والاختيار، ثم حاولت الإضافة –أتصور!– بتعرف مباشر وقراءات، لخبرات الآخرين، سواء خبرات معاشة، أو دراسات للباحثين.

تدور أحداث الرواية فى جو عائلى، ما بين السودان ومصر، تتنقل الأحداث بين المدينة والقرية والبادية، لن ألخص، أفضل

أن يعايش القارئ أحداثها بنفسه، بوعيه، وإدراكه، وحواسه التذوقية والجمالية. أتحدث فحسب عن دورة الحياة، ما بين الميلاد والموت، ما يتخلل ذلك من ممارسات ترتكز على حصيلة آلاف السنين من المعتقدات والعادات والقيم والمثل والتقاليد، وعلى تراث يبدأ باختراع الكتابة، وموروث يبدأ بأسطورة إيزيس التى لم تهدأ حتى جمعت أشلاء زوجها، بعد أن قتله الشرير ست، وثأرت لمقتله.

ثمة ما ينتمى إلى حياتنا القديمة، وامتد إلى زماننا الحالى، الرحاية التى تطحن الغلال يدويا، والمخرطة التى يصنع عليها الفطير، والكلوبات، والدلكة، وطاسة الخضة، والصرة، إلخ. تجميع ذكى لمفردات البيئة الشعبية، وتضفيرها فى نسيج العمل الإبداعى. وثمة طقوس العقد الشرعى، والرقصات، وأغنيات الخطبة، وعقد القران، وليلة الحنة بداية من الأدوات المستعملة، وانتهاء بطريقة نقش الحناء، وثمة ليلة الزفاف، وطقوس ما بعد الزفاف، بتقاليدها المتوارثة منذ مئات السنين، منذ تصعد العروس إلى الهودج، ينقلها إلى بيت الزوجية، والدخلة، ورفع المنديل الأبيض، به بقعة الدم، والأصوات تغنى: قولوا لابوها إن كان جعان يتعشى.

تمثل المشهرات بعداً أهم فى الرواية -لاحظ الاسم- يتناوله السرد عبر الكثير من الصفحات، وهى تعنى بالتطورات المختلفة فى حياة الإنسان، قبل الميلاد، وبعد الوفاة، وما بينهما من ملامح وقسمات، تبين عن جوانب يسهل إدراكها، وأخرى تنتسب إلى الخرافة، والممارسات التى يطول تأملها، وربما خرج منها القارئ -بثقافته ووعيه- دون فهم.

كنت أظن أننى استوعبت -من خلال كتابى "مصر فى قصص كتابها المعاصرين" معظم -إن لم يكن كل- تراثنا الشعبى، لكن منى سالم تطالعنا، فى هذه الرواية، بتراث فطرى، ساذج وطازج وأصيل، من الأغنية الشعبية المصرية، تنتسب إلى أقاليم متعددة.

ومع اتساع حجم الخرافة، والتقاليد البالية، والمعتقدات التى يصعب نسبتها إلى أى دين سماوى، فإن العلم يبين عن نفسه من فروج تلك الغيوم المتكاثفة، أشير إلى قول الطبيب عندما رأى عين الولد بعد أن أجريت له العملية الجراحية: "مبروك.. ثم أفهمنى انه طوال السنوات العشر الماضية، كانت مساحة النظر عنده صغيرة، من عين واحدة، ولكن العملية فتحت لنا باب الأمل، وأنارت له مساحة نور".

السرد حكائى، أقرب إلى الحدوتة، واللغة بسيطة، سهلة، تعبر عن المعنى دون افتعال ولا زعيق، تهمل التوشية والتكلف، تذكرنا بحواديت الأمهات والجدات، قبل نوم الأطفال، وفى ليالى الشتاء. لا تجد لفظة غريبة، أو غامضة –ما عدا المسميات بالطبع– فالمقصود من الحكى ليس مجرد تقديم الدلالة، المعنى، العبرة، الحدث الدرامى. يتماهى مع ذلك البعد المهم بعد آخر، من الواضح أنه كان شاغلا للفنانة وهى تمارس فعل الكتابة، ولعل هذا الشاغل كان يلح فى ذهنها من قبل أن تخلو إلى القلم والأوراق، تتناول دورة الحياة فى بيئات لها خصوصيتها المؤكدة.

مشوار "أبو القاسم"

لم يسمحوا لها بالسفر، توسلت إليهم أن تصطحبه للسفر.. أهلها حذروها منه:

- سوف تسافرين معه ليعود إلى أهله.. ثم يتركك لأنك سمراء، ويرجع لابنة عمه البيضاء لتعيشى ذليلة بدون أهل غريبة بينهم.. اتركيه يرحل وحده..

عندما أرخى الليل ستائره تسلل حاملا معه ابنته الصغيرة المولودة منذ شهور قليلة بعد أن أخفاها داخل مقطف خيش هرباً من قبيلة زوجته حتى لا يأخذوها منه.

لقد ترك قلب زوجته ينزف فى السودان بعد هروبه.. كانت الطفلة نائمة طوال الليل وهو يجرى بين دروب القرية خوفا عليها من أن يأخذوها منه، إلى أن وصل لبداية الطريق عندما أخذت الطفلة تبكى، وازداد بكاؤها، لم يكن يدرى هل

البكاء من الجوع أو من فراق أمها، اقترب من خيمة يسكن فيها أعرابى وحول الخيمة كانت أعداد من الماعز تتقافز، نادى من الخارج:

- يا عبد الله.. عابر سبيل
- تفضل يا ابنى الدار دارك

قبل أن يجلس ويستريح، استأذن الشيخ فى أخذ بعض من الحليب حتى يطعم ابنته، قال له الشيخ:

- الطريق شاق عليها وهى صغيرة
- باقى مسيرة يوم وأصل إلى القطار
- اجلس واسترح حتى أجهز لك الطعام.. أنا رجل وحيد أعيش فى هذه الخيمة، ولا يوجد حولى إلا الماعز، كما ترى

أحضر له (برام فخار) به الخبز الجاف وعليه اللبن.. ثم قال:

- فى المساء سوف نذبح سويا عنزة ونشويها ونجلس بجانب النار نحكى..

مد الشيخ يده وخلع جلبابه الخارجى، ولف به الطفلة عندما رأى ملابسها مبتلة، ووضع الملابس المبللة على فرع من فروع الأشجار حتى تجف.

فى صباح اليوم التالى مشى حاملا ابنته بعد أن شكر الشيخ، وودعه حتى يكمل مشواره إلى القطار.

وصل للمحطة بعد معاناة من الطريق.. استقل القطار هو وابنته للعودة إلى بلدته التى أتى منها.

جلس فى العربة الأخيرة حتى يكون قريبا من بائع الأطعمة والمشروبات حتى يسهل عليه أن يأخذ للطفلة ما يناسبها إن جد عليها الجوع والعطش..

كفت الطفلة عن البكاء والحركة مدة طويلة، مد يده داخل (القفة).. وجد الطفلة ساخنة جدا.. انزعج وتبدلت ملامحه.. حملها بين يديه.. احتار ماذا يفعل؟ سار خطوات داخل العربة وهو فى حيرة أن تضيع منه الطفلة، وهو الذى فعل ما فعل من أجلها، والهروب ليلا من أجل أن تعيش فى بلدته التى هى بلدتها، لأنها بلد أبيها، أهله هم أهلها، العصب والأصل.

من وراء (الطرحة) كانت تراقبه وتعد خطواته وهى جالسة مع زوجها فى الكرسى المقابل، نادى عليه:

- يا أخى هات الطفلة حتى تراها زوجتى.. مات لنا طفل منذ يومين ولسه فيه لبن فى صدرها ممكن ترضعها..

أمسكت الزوجة الحزينة الطفلة من بعد فراق ابنها.. وجدتها ساخنة.. وقبل أن ترضعها من تحت الطرحة قطرت بعض قطرات اللبن من صدرها على وجه الطفلة حتى تهبط من حرارتها، ثم دلكت وجهها ورقبتها وتركته يجف.. وكررت هذه العملية عدة مرات حتى تهدأ الطفلة من شدة الحرارة.. ثم أرضعتها، فنامت.. طوال الطريق كانت تحملها فى أحضانها.. وصل القطار المحطة، وقبل أن يغادره استأذن الزوجة الحزينة، وحمل ابنته، وشكر الرجل وزوجته التى اعتنت بها طوال الطريق حتى ردت فيها الروح.

***

خيم السكون فى هذه الليلة.. تكاثفت السحب وحجبت ضوء القمر الذى كان ينير دروب البلد المظلمة، شق الطريق فى خطوات سريعة.. وصل أمام بوابة خشبية كبيرة، شد الحبل من الخارج، فتح الباب، دخل أغلقه وراءه بعد أن أسقط يد (الغراب).. مشى خطوات.. كان الباب الأول للمندرة التى تخص العائلة فى المناسبات.. الباب الثانى يخص أولاد عمه الكبير.. هذا بابنا الثالث، كنت أميزه بقرن الخروف المعلق.. طرق الباب.. أتاه صوت ضعيف من الداخل:

- مين عالباب..؟
- أنا أبو القاسم

فتحت الأم الباب.. لم تصدق ما سمعته.. كانت تحمل لمبة الجاز (نمرة ٥) فى يدها المرتعشة.. الزجاجة كانت مغبشة بهباب اللهب المنبعث من الشرّيط القماش.. كما أن نظرها الضعيف لم يساعدها على الرؤية من كثرة البكاء على ابنها الذى غاب عشر سنوات.. رفعت اللمبة حتى تشاهد وجهه فهى لم تصدق صوته الذى طرق قلبها قبل أذنيها..

- يا كبدى.. كان قلبى حزين لم يعرف الفرح أبدا
- آه يا أمى.. ضمينى.. خذى ابنتى.. لم أتركها هناك
- يا ابنى يا حبيبى.. الحمد لله وصلتم بالسلامة..

استيقظ الجميع، والتفوا حوله.. أخذت أمه الطفلة، وخلعت الشال، ولفتها به..

- اسمها إيه يا أبو القاسم..؟
- سميها أنتى يا امى
- عائشة.. سميها عائشة

ثم أردفت أمه قائلة بعد أن نظرت إلى عائشة:

- احكى لنا عملت إيه طول السنين اللى غبتها عنا.. لكن بعد ما ترتاح..

***

على صوت (الرحاية) صحا أبو القاسم.. فى صحن الدار جلست أمه ممسكة بيدها الرحاية ويدها الثانية تمسك بها الغلة وتضعها فى الفتحة وهى تلف الحجر.. وقف أبو القاسم ينظر إليها.. سقطت عيناه على الحجر.. تذكر السنوات التى مرت عليه..

(عندما تم ترحيلى إلى السودان مع فرقة للجيش، وكان الحكم والأوامر قوية علينا.. وكان الملك فاروق الذى يحركه الإنجليز كيفما شاءوا.. كنا نلقبه بفاروق مصر والسودان.. الإنجليز هم كل شئ.. ولم تعد لنا أى قيمة.. كنا نهان ونتحمل.. ولكن لم أتحمل عندما أهاننى أحدهم أمام جمع من الناس.. غلى الدم فى عروقى.. امسكت به وطلعت روحه فى يدى.. حكم علىَّ بالسجن عشر سنوات.. وخرجت بعد ثلثى المدة.. بعد خروجى كانت الفرقة قد رحلت إلى مصر.. وسقط اسمى.. فكرت ماذا أفعل حتى أعود إلى بلدى.. سألنى زعيم القبيلة التى كنت أعيش فيها:

- أنت أصل جدودك من وين..؟

- إحنا من منطقة اسمها (الجربة) بالكعيمات الرمامحة، أصلنا مهاجرين..
- من أى قبيلة؟
- قبيلة اسمها (الوشاشات)
- الوشاشات هذه وين؟
- لا أعرف هل هى من اليمن أم الجزيرة.. كنت أسمع الكلام ده من جدى.. لكن لما أرجع بلادى حاسأل عن جذورى إلى أى مكان تمتد..

استأذنت زعيم القبيلة السودانى أن أعمل عندهم مدة قصيرة حتى أجمع ثمن رجوعى.. مرت سنة نسيت فيها السفر بعد أن أحببت فتاة سودانية وتزوجتها، أنجبت منها ابنتى عائشة)

تنبه أبو القاسم على صوت أخته وهى تقول:

- الإفطار يا أمى جنبك على الطبلية، وأنت يا أخوى عملت لك فطيرة سخنة من الطحين اللى طحنته أمى الصبح..

تركت الأم (الرحاية) واستدارت بجانبها لتأكل مع (أبو القاسم).. وبعد أن انتهيا من إفطارهما وشربا الشاى، دخلت أخته وهى

مذعورة وفى يدها (الشوال) الذى كان يحمله أبو القاسم عند عودته..

– هاتى.. هاتى.. حقولكم حكاية الشوال

(عندما قررت أن اعود إلى بلدى رفض والد زوجتى السودانى أن تسافر معى.. اتفقنا أنا وهى على أن تهرب معى.. حددنا مكانا نلتقى فيه.. جمعت مصاغها وأعطتها أمها مصاغ جدتها، ووضعناه فى (شوال).. وفى الوقت الذى عم فيه السكون وضعت الطفلة فى قفة وحملتها وخرجت بها إلى ان تحضر زوجتى ورائى.. ولما تأخرت حدثنى قلبى أن يكون أمرها انكشف.. انطلقت بين الوديان فى خطى سريعة طوال الليل.. إلى أن أحسست أنى فى أمان، حتى جلست أستريح وأطعم الطفلة التى كرمنى الله بها)

قالت له أمه:

– ياه يا ولدى.. كان أبوك أمله أن يفرح بعوضك

وسقطت دموعها حزنا على الزوج، وفرحا على رجوع الابن الغائب ومعه هذه الطفلة العزيزة.

رفرف الحمام فوقهم وهو يخرج من (البنية) حتى يلتقط الغلة بجانب الرحاية، يطعم صغاره، وطار من أمامه..

تنهد وقال:

- ألف رحمة ونور عليك يا أبى

ومد يده أمامه وهو يقرأ الفاتحة.



مشوار عائشة

كبرت عائشة وترعرت فى كنف والدها وكانت جدتها هى الملاذ والملجأ لها بعد أن حرَمت من أمها. طلب يدها ابن عمها حسنين. اجتمعت العائلة لعقد قران عائشة على حسنين. كان أبو القاسم والد العروس على خلاف مع العمدة، وكان دائما يهاجمه، حضر العمدة عقد القران على سبيل المجاملة، لم يرغب أبو القاسم فى وجوده بين العائلة، هب واقفا وقال:

- أخرج بره يا عمدة لا نرغب فى وجودك بيننا

أشار العمدة بيده نحوه وهو واقف:

- أنت زى ما أنت يا ابو القاسم.. لسه الشقاوة والجبروت فى دمك.. ودايما مشاغب وراسك ناشفة

رد العريس حسنين بصوت عال:

- إحنا أهل يا عمدة وأنت غريب عنا من عيلة تانية
- حقول لك كلمة.. أنت دماغك ناشفة زى عمك.. وعمركم ما حتتوفقوا مع بعض

خرج العمدة من بين المجتمعين رافعا طرف عباءته على كتفه وهو يردد فى سره (ماشى يا رممحة).

تم عقد القران، وزفت العروس إلى ابن عمها، وحولها الأهل والأحباب، وكان قد جهز جمل، وعلى صوت المزمار التف الجميع، وحمل العريس عروسه ووضعها فوق ظهر الجمل حتى تمر الزفة على كل البلد إلى أن تصل إلى دار العريس.

مرت سنوات لم ترتح او تهنأ عائشة فى حياتها. بعد سكوت طويل وتحمل اعترفت لوالدها عن شدة زوجها والمعاملة القاسية التى يعاملها بها.

جلس أبو القاسم عند ابنته لحين عودة حسنين من عمله فى زراعة أرضه..

- سلام عليكم يا عمى
- عليكم السلام ورحمة الله يا حسنين.. أنا عايزك فى موضوع..
- خير إن شاء الله

- مالك يا ابنى بتعامل عائشة بهذه القسوة
- أنا زهقت مافيش بشاير حمل.. كل سنة أقول حايجى الفرج.. أنا عايز عيل يملأ على الدار
- تعالى يا عائشة معى
- لو خرجت برة الدار تكون خالصة
- أنت بترد فى وشى كده.. ياالله يا عائشة لمى هدومك

رجعت عائشة إلى دار والدها مثلما خرجت منه.. فى ركن الدار جلست حزينة تعد الطعام على نار (الكانون).. ومن بعيد ينظر إليها والدها، تذكر أمها التى لا يعلم عنها شئ للآن.

كانت عيناه راصدة لهيب الشرار المتطاير من (الكانون).. تنهد بشدة على صوت ابنته وهى تقول:

- أبوى.. العشا جاهز
- إيه الحلاوة دى.. اتعلمتيها فين..؟ فكرتينى بأكل أمك
- اتعلمت من جدتى حاجات كتيرة.. دى (مخروطة) شفت جدتى، بعد ما تفرد الفطيرة ترش عليها دقيق، وبعدين تلفها على النشابة وتسحبها بخفة، وتمسك السكين وتقطع أطرافا رفيعة، وبعدين ترفع نص الكمية وتضعه فى

اللبن، والنص التانى تضع عليه معلقة سمن وسكر..
وبصحة وعافية يا بوى

فرح قلبه، ونام هذه الليلة يفكر، على صوت أذان الفجر قام ليصلى ويدعو الله أن يحبب الجميع لعائشة، وعندما انهى الصلاة، صلى ركعتين لله حتى يسترها فى الدنيا والآخرة.

عند خروجه من الجامع أمسك يده فراج، وهو من أولاد عمه، وقال له:

- يا عمى عايز منك طلب.. أريد يد عائشة.. كنت اتمناها قبل أن يأخذها حسنين.. لكن النصيب.

ابتسم أبو القاسم وفرح قلبه وقال له:

- اللى فيه الخير يعمله ربنا، وأنا مش حلاقى أحسن منك.

وعندما أخبر ابنته عائشة، نظرت إلى الأرض وقالت:

- الكلمة كلمتك يا بوى

انتقلت عائشة إلى دار فراج.. عاشت سعيدة، وبعد أشهر قليلة حملت، ولم تصدق، فرح زوجها، والتف حولها الجميع يدعون لها أن تقوم بالسلامة.. كان وقت حصاد القمح، الزوج مشغول فى الأرض، وعند رجوعه فى آخر النهار متعبا هلّ عليه من يبشره ويبارك له:

- مبروك المولودة الجديدة

رفع يده شاكرا لله وحامدا له بهذه المولودة

- وصلت وش الخير مع الخير الجديد فى الحصاد

دخل الدار ونظر فى وجهها وقال:

- وش السعادة

قالت عائشة:

- حتسميها إيه يا فراج؟
- سعادة
- ربنا يبارك لنا فيها وتكون سعادة على الكل.

***

علم العمدة أن أبا القاسم مريض.. فى هذه الليلة لم يغمض له جفن.. ولكن غفوة سريعة صحا منها مذعورا، جلس يستغفر ربه وأن يمحو له ذنوبه.. عند طلوع الشمس ذهب إلى دار أبى القاسم.. طرق الباب يستأذن للدخول.. ملأت الدهشة وجهه عندما رأى الدار مليئة بالزوار.. حدث نفسه بأن داره خالية من الزوار.. دخل على أبى القاسم فى الحجرة التى ينام فيها.. قال:

- يا ساتر.. السلام عليكم يا أخى
- ورحمة الله يا عمدة.. اتفضل اقعد

- أريدك على انفراد يا أبا القاسم

رد أولاد عمومة أبى القاسم:

- سوف نخرج يا عمى ونعود بعد العشاء

قال أبو القاسم فى صوت عال رغم مرضه:

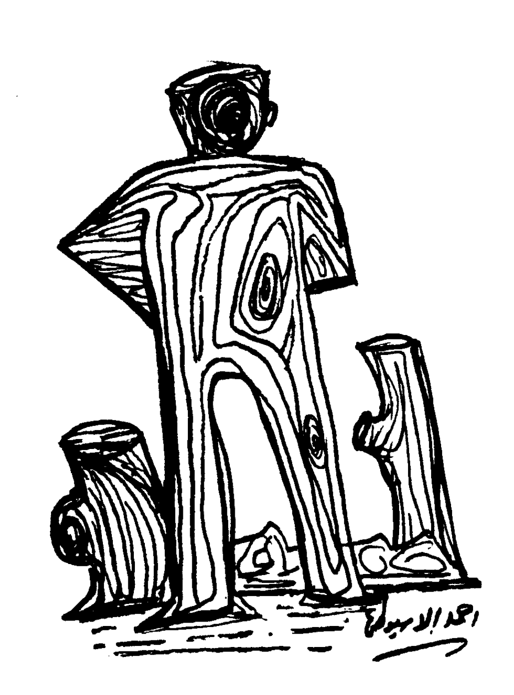
- مافيش سر بينى وبينك يا عمده.. قول اللى أنت عايزه

فى خجل قال العمدة:

- سامحنى يا أخى.. طول عمرى أحقد عليك، فى الشباب بلغت عليك الإنجليز.. قلت لهم ده ولد شقى، وأخذتك السلطة وحكمت عليك بنفيك إلى السودان، وانقطعت أخبارك عن البلد، قلت ارتحت منك وأزحتك عن طريقى، لكنك رجعت ولسه الشموخ والرجولة لم تنكسر فيك، كنت أتمنى أن أزوج بنتك لابنى، لكن النصيب اخذها ابن عمها، فرحت لما رجعت الدار تانى، لكن فى غفلة وبدون علمى زوجتها إلى فراج هذا الذى فكرنى بأنى أمام أبو القاسم جديد رجع من تانى وحيقف فى وجهى.. لكن الليلة دى حلمت حلم غريب، هو إن هناك طفلة مولودة سيكون لها شأن عظيم، وسوف تملأ الدار

بالذرية، وتوصل العروق التى انقطعت بين الأهل وتكون عندها الحكمة.

سكت أبو القاسم عن الكلام، ولم يستطع الرد.




محمد عبد الودود

مشوار الليلة المظلمة

التفت البنات حول العروس يغنين ويرقصن على إيقاع الطبلة، تغنى جدة العروس:

(إحنا الصعايدة بإحنا.. يا منورين مطرحنا)

وقفت أم العروس بجانب الباب تنظر إلى ابنتها، والبنات حولها يزغردن، وهى جالسة وبجانبها خالتها، مالت عليها وسألتها:

- يا بنت أختى أنت عملتى حلاوة..

نظرت العروس إلى الأرض ووجهها يحمر خجلا، وقالت:

- لا يا خالتى

قامت مذعورة من جوارها قاصدة أمها:

- إيه يا أختى أنت نسيتى تحفحفى البنت

تساقطت دموع الأم، وفى آخر الليل كانت خالة العروس قد أشعلت وابور الجاز، ووضعت حلة صغيرة بها عسل أسود، نضج العسل، وبدأت رائحته تنتشر فى كل دار، ثم سكبت ما فى الحلة فى صينية، وبعد قليل صار العسل متماسكا، أخذته بين يديها تفرد وتلم، صارت قطعة حلاوة مرنة. بعد أن انصرف الجميع نادت على بنت أختها العروس، وفجأة انقطع النور بعد أن فرغت البطارية.. جهز أهل الدار بعض الكلوبات لإضاءة الغرفة، نظرت الخالة للعروس بعد الكشف عليها فى كل مكان من جسمها.. ولكن الدهشة ملأت وجهها عندما وجدت أن جسمها جميل وأبيض ونظيف زى الفل.. نادت على أختها وقالت لها:

- بنتك نظيفة ربانى
- أصل يا أختى وهى صغيرة جدى جاب وطواط ودبحه ووطواطتها علشان لا ينبت لها شعر..
- يا بختها.. مش إحنا.. نجهز لها الحمام.. لكن قبل الحمام نعمل دلكة

قالت الأم:

- سوف أجهز أنا الدلكة على الوابور

وضعت فى الحلة الماء والكركم وبعض الأعشاب المطحونة.. وطبختها ثم أنزلتها من على النار بعد تسويتها حتى تبرد قليلا، ثم تخلع العروسة ملابسها، وتفرد الدلكة على جسمها وتدلك بها حتى يفتح جسمها ويكتسب اللون الوردى.

انتهت الخالة من تدليك جسم العروسة، رفع المؤذن الأذان لصلاة الفجر، قامت الجدة لتصلى، بعد أن أنهت الصلاة ودعت للعروسين، قالت:

- يا بنات جهزن الحناء علشان تخمر وتكون حمرتها جميلة

دخلت العروس لتنام ساعتين قبل أن يهل الأهل والأحباب لليلة الحناء.

طلعت الشمس وانطفأت الكلوبات، وهلّ الأقارب حتى يجهزن العجين لعمل الكحك والفطير، أشارت جدة العروس قائلة:

- يا بنات.. اذبحن خمس أزواج حمام وديك رومى علشان العروسة تتعشى مع العريس.


الاسيوطي

مشوار ليلة الحناء

امتلأت الدار بالأهل والأحباب والأقارب، جلست الجدة تغنى:

(الليلة فى دوارنا ضى.. السكر والشربات علىّ)

والجميع يردد وراءها.. وخالة العروس ممسكة بالطبلة تغنى بعد الجدة:

(يا طبلة رنى يا ولاه.. يا طبلة رنى.. واللى متغاظة يا ولاه.. تطق منى)

ويرد الجميع عليها وهن يضحكن، وترتفع السقفة، وترن الزغاريد، خرجت العروس من غرفتها مرتدية العباءة الحمراء المطرزة بترتر، وجلست وسط أقاربها، من غير أن يلاحظ أحد مالت صديقتها تسألها بصوت خافض:

- هو العريس جاء
- لا لسه حيحضر فى المساء

- شفتيه كتير بعد قراءة الفاتحة
- لم أره جيدا، كنت خجلانه، لم أرفع وجهى فى وجهه
- وقبل الخطوبة؟
- مرات قليلة وأنا راجعة من الغيط.. كنت أدارى وجهى خلف الطرحة، وهو يكلمنى ويقولى أنا عايزك يا بنت العم وسوف أطلبك من عمى، هل تريديننى؟.. هززت رأسى له بالموافقة، وبسرعة دخلت الدار قبل أن يرانا أحد ويخبر أبى.. ولكن جدتى هى القلب الكبير، كانت دايما تتكلم معى عنه.. كنت أحب حديثها الحنون.. كانت جدتى تحبه كثيرا وتقول عنه: ده راجل وسيد الرجالة.. ولد دمه حر جدع. كان يدق قلبى فرحا لما أسمع سيرته.

صاح الجميع (العريس وصل).. وعلى صوت الطبلة والمزمار والزغاريد دخل من الباب، وتوجه إلى الأريكة التىتجلس عليها الجدة، ومد يده، وأخذ يد جدته وقبلها، طبطبت عليه بحنان قائلة:

- ربنا يتمم بخير يا ولدى

دارت عيناه بنظرة حتى يرى العروس.. أحمر وجهها خجلا عندما التقت عيناه بعينيها، صاح عمه ينادى عليه:

- المأذون وصل فى الجامع

خرج وهو فرحان مبتسم الوجه..

وعلى صوت المؤذن الذى كان يؤذن لصلاة المغرب.. سكت الجميع حتى ينتهى المؤذن من الأذان.. قامت العروس لتبدل ملابسها ومعها صديقاتها.. دخلت الغرفة، وجدت أمها قد جهزت لها الفستان البمبى المطرز بحبات الخرز واللؤلؤ وخرج النجف. نظرت العروس، وجدت أمها تبتسم بفرح، لكن كانت فى عينيها دمعة.


أسماء محمد عبد الودود

بقية مشوار ليلة الحناء

عم السكون وقت كتب الكتاب.. فتح المأذون دفتره قائلا:

- الصلاة والسلام على رسول الله وأهل بيته.. نقرأ الفاتحة حتى يبارك الله فى هذا الزواج..

وقف الجميع فى وقت واحد رافعين أيديهم داعين لهذا الزواج، قال المأذون:

- منديل يا جماعة

أخرج العريس من جيبه منديلا أبيض اللون جديدا ومكويا، التقطه المأذون قائلا:

- هات إيدك يا عريس وأنت يا أبو العروسة.. ورددوا ما أقوله لكما..

قال للعريس:

- زوجنى ابنتك

ثم قال لأبى العروسة:

- زوجتك بنتى

كانت عينا ابن عم العريس راصدة المنديل، وعندما انتهى المأذون من طقوس الزواج، وامتدت الأيدى لتلتقط المنديل، ولكن ابن العم كان الأسرع، وأخذ المنديل.. فصاح الجميع:

- يا واد يا جدع

وتعالت الزغاريد والأغاني..

(كتبوا كتابك يا نقاوة عينى..)

التف أهل العريس حول العروسة يرددون على الطبلة:

(خدناها.. خدناها

خدناها من بيت القاضى

خدناها وأبوها مش راضى

خدناها بالسيف والقوة)

ويعلو التصفيق من اهل العريس، ويرد عليهم أهل العروسة:

(أوعى له يا بت حيخليكى واحدة ست

أوعلها يا واد أوعلها ده الضابط يبقى خالها)

(أوعى له يا بت أوعى له

ده الضابط يبقى زميله)

وتدق الطبلة، وترن الزغاريد، وتعلو مع ضحكات الأهل. قامت جدة العروس ترقص وهى تردد:

- حزمونى يا بنات علشان ده ندر أرقص فى فرح أحفادى..

وعلى أطراف أصابع قدميها اخذت ترقص رقصة "عرف الديك"، وهى ممسكة بطرحتها، تغطى بها وجهها وهى تضحك، صاح الجميع:

- أيوه يا جدة.. أيوه يا جدة..

بعدها جلست على الأريكة وهى تلتقط أنفاسها..

- إيه يا بنات حاخد زمنى وزمن غيرى.. الحمد لله شفت أولادى وأولاد أولادى..

خرجت الأم وهى تحمل صينية الحنة، قالت الجدة:

- استنوا يا بنات العروسة الأول

تقدمت أم العروس نحوها، ومدت العروس يديها، وضعت الجدة فى كل يد قطعة صغيرة وأخذت تفردها..

- اقفلى إيديك وهاتى رجلك..

رفعت العروس قدميها حتى لا تنحنى الجدة.. كانت الأم تمسك "بشراب" لتغطى به رجليها بعد وضع الحنة.. الجميع التف وهم يرددون:

- أنا يا خالة.. أنا يا خالة..

امتدت الأيدى، وأخذت ام العروس تضع فى كل يد قطعة من الحنة، قالت الجدة:

- خللى حتة علشان أحنى بيها شعرى قبل ما أنام، علشان فى الفجر قبل الوضوء أغسله..

وخرج الجميع فرحين استعدادا للفرح، دخل العريس يقبل يد جدته قبل أن ينصرف قالت له الجدة:

- خد يا ابنى فى إيدك حتة حنة.. سنة الرسول عليه الصلاة والسلام

- ربنا يبارك لنا فيكى يا جدة

- وأنتم يحرسكم من العين يا ولدى

ومسحت على رأسه بحنان، وهى تدعو لهما من قلبها بالخلفة الصالحة.

المشهرات (١)

تم عقد القرآن آخر يوم فى الشهر العربى.. تزوج العروسين.. كانت ليلة فرح كبيرة.. تحاكى بها الأهل والأحباب.. دخلوا فى بيت العائلة.. حدثت مشاجرات من أول ليلة:

- ابعد عنى مش عايزاك.

كلما دخلا حجرتهما يحدث نفور بينهما..

دخلت الجدة لتطمئن عليهما.. وجدت العروسين لم يحدث شئ بينهما.. قالت:

- لابد أن أحد الزوار حلق ذقنه أو رأى جنازة فى الطريق وهو قادم يبارك لكم.. غدا آخر يوم فى الشهر نزور المقابر..

وتم المطلوب.. بعد عدة أشهر لم يحدث حمل.. قالت الحماة:

- نعمل المِشْهرَاتْ.

(١)

بداية المشوار

صمم جدى وجدتى على السفر إلى بلدتنا.. الصعيد

أحضرت أمى بعضا من المصاغ –الحلى– سلاسل– غوايش– خواتم ذات أحجار كريمة وذهب بندقى وقالت:

- نطق هذا الذهب فى الماء وخطى عليه وخذى حبة ماء ورشيه على وجهك وقلبى الذهب الذى فى الماء وانظرى فيه جيداً
- أى شئ ذهب اتاكم فى الصباحية من الزائرين خذيه معاكى..

ذهبنا إلى بيت احد المشايخ حتى يقرأ على رأسى.. بعد زيارة الشيخ دخلت غرفة صغيرة بها فتحة من الخارج على هيئة لسان بجانبه بير ينزل فيه (سلب) به (جردل).. خلعت ملابسى كلها كما ولدتنى أمى.. جلست على حجر كبير تحت الفتحة.. ومن الخارج يملأون ثلاثة جرادل ماء من البئر الباردة تنزل عبر الفتحة إلى الداخل وانتفضت وأنا جالسة على الحجر.. خارج

الغرفة تجلس سيدة عجوز يسمونها (المِغْسلِةَ) تكسر البلاص وتعطينى سبع قطع –شقفات– لكى أضعهم تحتى وانا استحم.. وانا استعد للسفر إلى القاهرة بعد هذه الطقوس..

قالت جدتى:

– بعد أيام قليلة.. ليلة أبو ماجد.. ليلة الجمعة الكبيرة.. ليلة حضرة وذكر.

تجتمع النساء فيها يحلقون رؤوس أطفالهم الصغار أول حلاقة (شعر البطن) وأمام مقام الشيخ العجمى تدور حلقات الذكر لفك العقد المربوطة.. كانت ليلة الجمعة .. انتظرنا مع السهرانين وعند مقام الشيخ (على التارك) يستحم الأطفال بالماء البايت تحت النجم للتبارك، وقبل صلاة الظهر يتم إشعال الفحم لتحضير البخور وعندما يرفع أول آذان الظهر يضع البخور على الفحم المشتعل.. ثم يضعونها على الأرض ويخطون فوقها ويرددون:

أولها بسم الله وثانيها بسم الله.. وثالثها رقية فاطمة بنت عبد الله.. اخرجى من جسمه لا تكسيره.. يا عين.. يا عين.. يا

خاينة يا ردية.. فى المال.. فى الذرية.. وصلتك بحر الغطاس.. لا تبان لكى جتة ولا راس.

الجميع يشربون شربة ماء من (طاسة الخضة) المنقوع فيها بلح أو سكر وحنة دائما ماء بسكر وحنة (الحنة حنينة)

وبعد صلاة الجمعة رجعنا إلى الدار أنا وجدتى وجدى وفى الطريق كان الوقت قد أقبل على الغروب.. فى الرجوع زرنا مقام الشيخ العجمى كان مضاء بأنوار بيضاء مع اللون الأخضر.. انشرح صدرى واحسست براحة عميقة.. اغمضت عينى مع تلاوة القرآن.. ودعيت لجميع أحبابى.

فى اليوم الثانى أخذتنى جدتى إلى قطعة أرض يسمونها (الدحريجة).. نساء البلد تتباركن بها رأيت السيدات تتدحرجن من أعلى إلى أسفل تم يرجعن إلى أماكنهم مرة ثانية.. تمددت على الأرض وأنا نائمة على جانبى الأيمن اقرأ القرآن الكريم.. لكن الذى حدث أننى ضحكت.. ولم اتدحرج.. ذهبت وأنا اتعجب..

أعددنا الأغراض للسفر إلى القاهرة أهدتنى جدتى (صرة) وقالت لا تفتحيها هنا.

(٢)

المشوار الثانى

عندما وصلت شقتى فتحت رباط (الصرة) وجدت بداخلها خلاخيل وصفا ودندش وأساور كلها فضة.. أسورة على هيئة قضبان السكة الحديد وفى الوسط ضفيرة.. الصفا على هيئة عملة أربع وأثمان فضة لعقده فى الشعر مع الضفيرة.. الدندش على هيئة هلال كبير.. به حبات حمص على شكل أجراس صغيرة ترن..معهم خلاخيل (بسفاسيف) وفى (الصرة) بعض الأعشاب الزكية والنفاذة.. سألت حماتى عن تحضيرها

وضعتها فى الماء على النار حتى تغلى.. ثم أخذت حمام بخار حتى تتفتح مسام الجسم.. ويكون على اتم استعداد.. تزينت بالأساور والخلاليل وكان ليلتها القمر (بدر).

أراد رب العباد والقدرة.. جعلت (الصرة) تفك العقد وتحقق الحلم.. بالحمل.. لكن أخطأ الطبيب فى التشخيص (الحمل كاذب).. والتحاليل على الضفدع (لا حمل)

حماتى قالت:

- **يا ابنتى أريد أن أنظر إلى صدرك.**

كان الصدر ممتلأ وساخنا..

- علامات صدرك تدل على حمل.

لكن مع كشف الطبيب نزل الجنين.. ولكنى لم أحزن.. ومرت شهور.. ولم يحدث حمل..

أرسلت أمى فى طلبى.. كانت على وشك (الوضع) وعندما تمت الولادة قالت:

- خطى على (الخلاص) بتاع المولود حتى لا أحمل تانى.

وبعد أشهر قليلة تحقق الأمل.. بمولودى.

المِشْهرَاتْ (٢)

مرت شهور الحمل فى سلام وجاء المخاض بدون ألم ومع أول آذان الفجر جاءت البشرى السعيدة (واء واء)

قالت أمى:

- حمد الله على السلامة يتربى بين الوالدين خدى يا أبنتى كوب الحلبة بالعسل الأسود اشربيه علشان ينزل اللبن للمولود
- إيه يا ماما كل ده
- حاجة صغيرة بعد الولادة

وتضع أمى أمامى فرخة كبيرة وهى تقول:

- لازم تأكلى الفرخة دى علشان الجسم مفتوح بعد الولادة

وأنا فى انتظار نزول اللبن للطفل تحجر ثديى و تجمد اللبن والطفل يصرخ يريد الرضعة قالت حماتى:

- نعمل المِشْهرَاتْ

المشوار الثالث

أخذتنى حماتى وعملت لى قرطاس من (الردة) وحملت الطفل وقالت لى:

- ضعى قرطاس الردة داخل الثوب عند الصدر ودعيه ينزل من الجلباب عندما ندخل المقابر من أول الباب الأمامى حتى الباب الخلفى وتنزلين الردة قليلا قليلا من صدرك حتى نخرج من باب المقابر.

وعندما وصلنا المنزل كان اللبن ينزل بشدة من ثديى.

مرت ستة أيام وغدا السبوع

- نعمل (تبييته) ليستحم الطفل ليلة السبوع

أمى أحضرت طشت وفرشت ملابسه التى كان يرتديها فيه ووضعت حجر

- ليه يا ماما

- عشان قلبه يكون جامد زى الحجر لا يخاف

جميع أهل المنزل وضعوا فى الطشت بعض العملة الفضية..

استحم الطفل

- حمام الهنا

- عقبال حمامك وأنت عريس

احضرت حماتى إبريق(السبوع) وشمعة كبيرة تضاء فى أول الليل حتى الصباح.

- هاتى يا أم العريس صينية

ووضعنا فيها الإبريق وماء وبعض حبات الفول وبعض العملة الفضية للطفل والتى استحم عليها الطفل فى الطشت لا ترفع غير فى الصباح.

- الفول ليه يا ماما
- عشان نعمل به (بِسِلَة) سبع حبات تشبك مع بعضها فى خيط توزع مع السبوع ونعمل (بِسِلَة) للمولود كبيرة تسعة وتسعين حباية مثل السبحة تعلق بجانبه.

حماتى قالت:

- احضرى أى حاجة خضراء حزمة فجل أو جرجير عشان تكون سنين عمره خضراء

ماما نزلت اشترت (السبوع) حمص (مقشر) سودانى.. بونبونى.. شيكولاتة وعلب على شكل خمسة وخميسة و(بِسِلَة) السبوع السبع حبوب عشان ترش أمام المولود..

- وإيه هما يا ماما السبع حبوب
- هما (العدس والقمح والشعير والفول والفاصوليا وذرة وحبة البركة) ومعاهم الملح عشان العين.

وفى الصباح تعمل البسلة والفول وتجمع العملة الفضية التى فى الطشت والصينية وتوضع فى بسلة الرش.. تأخذها التى ترش الملح.

أعددنا الغربال ووضعنا فيه الطفل ودق الهون دق..دق.. رن..رن.

- اسمع كلام أمك واسمع كلام أبوك

وسع للغربال ودحرجوه على السلم وفيه بعض الحمص والحلاوة والأطفال يجرون ويلمون الحمص والحلاوة.

بعد السبوع وجدت الطفل (يحزق) بشدة لدرجة أن وجهه احمر احمرارا شديداً

- ماذا أفعل يا أمى..
- اشحتى قطعة لحمة من الجزار ولازم المحل يكون له بابين ادخلى من باب واخرجى من الآخر وفى المنزل ضعى عليها ملح وأعملى كيس صغير وضعى قطعة اللحم داخل الكيس وعلقيها على صدره..

  وبعد أيام لسه مخنوق وبيحزق..
- اشحتى من سبع محمدات أى قروش واعملى بها (حذاقة) عند الحداد ..يكون حداد ابن حداد يعمل

(الحذاقة) يوم الجمعة عند أول آذان الظهر وعلقيها على صدره.

المشوار الرابع

دخلت جدة المولود لتطمئن عليه

- بكرة آخر يوم فى الشهر العربى
- نطاهر الطفل..

وكانت طهارة سهلة وجميلة وقبل خروجنا من عند الدكتور قالت حماتى:

- خذى جلدة الطهارة معاكى..
- ممكن حد يحتاجها تكون عندك
- يكون عنده مشهرات الطهارة نعمل بها طقوس المشهرات

وبعد أيام من الطهارة الطفل لم يتبول.. .. ..

تذكرت جدتى وهى تقول بعض النصائح.. ..

السبحة (اليسر) يلبسها الطفل..

هدية الطفل خمسة وخميسة بداخلها لا إله إلا الله محمد رسول الله..



المِشْهِرَاتْ (٣)

هلَّ الأهل والأحباب تبارك وتهنئ..

- خمسة وخميسة على جماله..

تمتمت بكلمات..

- خمسة فى عينك.

حماتى:

- خذى علقى هذه الخرزة علشان العين.

كانت أمى تحمل المولود وتغنى له..

قالولى ده ولد انشد ظهرى واتسند..

حماتى:

- باقى يومين على الأربعين من بعد الولادة..
- نعمل مِشْهِرَاتْ..

المشوار الخامس

نزور المقابر ندخل من الباب الأمامى ونخرج من الباب الخلفى ثم نذهب إلى السوق نشاهد محلات الجزارة ومحلات الذهب وسوق الخضار داخل السوق ونحن بجانب البائعين.. قالت حماتى للبائع شحت الشحات..نهرها البائع بشدة..

- ليه يا ماما كده أنا حشحت بيه..
- علشان ابنك ربنا يخليهولك ويشحتهولك

ذهبنا إلى بائع آخر

- شحت الشحات
- امشى يا ولية انتى وهى..

قالت حماتى:

- لما اتولد زوجك فى الصعيد وبعد السبوع حمله جده وذهب به إلى السوق عندما قال لأول بائع.. شحت الشحات كانت الباعة تعطى من أى شئ يبيعه التاجر.. متر قماش من بائع أقمشة.. قطعة لحم من جزار.. أما بائعين الخضار بصل، طماطم، بطاطس، الكل يعطى ويقول ربنا يخليلك، أما بائع السمن والزيت يعطى فلوس..

- كانت ملابس زوجك وهو صغير كلها شحاتة، أبوه وجده لما يذهبا إلى الخياط كان يعمل للطفل جلبية هدية..

- كان زمان يا ماما

وخرجنا من السوق ذهبنا إلى المنزل حتى لا يقابلنا أحد.. فى الطريق قابلتنا إحدى الجارات ورأت الطفل..

- إيه الحلاوة دى ربنا يبارك.

وصلنا المنزل والطفل لم يتوقف عن البكاء

قالت حماتى:

- نبخروه (بالكسبرة) وسبع أفراد يمضغون (الكسبرة) جارتنا وبنتها تحت وجارتنا فوق.. أنا وجده وأبوه وانتى الكل يمضغ (كسبرة)

- هاتى البابور وحديدة البخور وحبة ملح عند آذان المغرب نبخر ونرمى البخور المحروق فى الشارع وبعد أن نضعه فى قطعة قماش صغيرة على هيئة منديل نضع البخور المحروق فى القماشة ومعه خمسة قروش ونربطه ونرميه فى الشارع بين أربع مفارق علشان أى مار فى الطريق يأخذه ويفكه تنفك النفس والنكد للطفل.

***

تمر الشهور فى سعادة أراقب حركاته لحظة بلحظة..

- ليه يا ماما مش بيحبو
- فى أطفال كده تمشى على طول

قالت حماتى اعملى له (مسند)

- قعده على الأرض وحوطه بمسند حتى يعتدل فى جلوسه

وأنا أداعب الطفل ويضحك باب ب ب ب ب

فى قلق اترقبه لم يمش

قالت حماتى:

- لسه يا بنتى..

الأول اسنانه تطلع بعدين يمشى..

- يا ماما عنده (ضرضيره) وارمة
- مبروك هتطلع سنة..
- ساخن جدا جدا خايفة عليه..
- يا بنتى اسنان الطفل بتطلع من عافيته
- وعلى رأى المثل "لو علمت أمى باسناناتى لاحضرت لى اكفاناتى"

بعد اسبوعين ظهرت سنتين.. تحسنت حالته وهو يرغرغ مع ضحكة حلوة مشرقة مام م م م.

مع نور الصباح وشقشقة العصافير.

– لسه يا ماما أنا خايفة ما بيمشيش..

قالت حماتى:

– نعمل مِشْهِرَأتْ

المشوار السادس

بكره أبوه ياخده وهو رايح يصلى صلاة الجمعة يجلسه أمام المسجد ويربط رجليه بخيط ويضع فى جلبابه بعض الحلاوة والبنبونى وبعد الانتهاء من صلاة الجمعة أول واحد يخرج من المسجد يفك الرباط.. يمسك يد الطفل ويسير به قليلاً.. حتى تتدحرج من جلبابه الحلاوة والبنبونى.. المصلين الذين يخرجون من المسجد يأخذون البنبونى ويدعون له بالعافية وطول العمر..



2002

جهاد صلاح الدين

المِشْهِرَاتْ (٤)

جاءها بعد طول صبر وانتظار.. "يا ولدى اللى ولدته فى حساب الفول جبته" دقت الطبول وقامت الأفراح بعيد ميلاده الأول لتضاء أول شمعة.. أعددنا تورتة كبيرة وعلقت الزينة والبالونات.. والتفت الأسرة والأحباب والأطفال يرددون.. عيد ميلاد سعيد.. سنة حلوة يا جميل..

وتغنى جدته "خليه ليه خليه يحججنى فى روضيه.. يذبح ليه الحولى ويقولى حجى يا ولية" وتتمنى له الأم بطول العمر ويجعل فيه البركة..

نظرت الحماة إلى زوجة ابنها رأتها متعبة..

- ظهر عليكى التعب.. ارتاحى شوية
- ضهرى بيوجعنى بشدة.. وخصوصاً فى آخر أيام الدورة الشهرية..

- خدى الدواء ده..
- إيه ده .. سكر ماكينة
- عندما تتامين خدى اتنين مكعب سكر لبوس مهبلى وضعى فوطة كبيرة.. وفى الصباح تكونى بخير.

***

- ماما .. ماما .. صباح الخير.. مش ممكن تتصورى نزل ماء كتير فى الفوطة وأحسست بعدها براحة..
- علشان ظهرك مفتوح.. وربنا يكرمك بكثرة الذرية.. "وأعز الذرية ولدين وبنية"

قالت الحماة:

- بكرة جده وأبوه ياخدوا الولد.. يحلق شعر البطن.
- أنا نادرها .. يحلق شعره أول مرة عند السيد البدوى فى طنطا.. وهو راكب معزة صغيرة وبعدين ادبحها هناك وأوزعها على الفقراء.

الجميع استقلوا السيارة إلى طنطا.. وعند مقام السيد البدوى ذبحوا المعزة الصغيرة ووزعوا لحمها .. وحلق الطفل شعره.

ورجع الجميع بالسلامة ومعهم الحمص.. وحب العزيز.

- ماما.. ظهرى يؤلمنى جدا

- ظهرك مفتوح.. نعمل مشهرات..

المشوار السابع

قالت لى:

- أسألى عن منزل أم سعيد.. بجانب المسجد القديم.

وصلت للمنزل وقابلت سيدة مسنة..

قالت لى:

- بكرة هاتى اتنين متر "أستك" وقفل صغير علشان اقفل ظهرك على البير.

عندما عدت لمنزلى قلت لأمى:

- إيه سر البير..
- البير ده قديم جدا.. يعاصر جد الجدود..

فى اليوم التالى طرقت الباب الخشبى الكبير ذو الحلقة الحديدية.. ودخلت.. قالت لى أم سعيد:

- تعالى يا بنتى..

وكان فى يدى الأستك والقفل.. وادخلتنى مكان تحت السلم بين الحجرات الأربعة..

- أرفعى يا بنتى ملابسك من على ظهرك وضعى يدك على الحائط.. وانظرى إلى أسفل وافتحى رجلك.

ورفعت السيدة المسنة لوح خشبى صغير.. تملكنى الخوف وازدادت ضربات قلبى..

- لا تخافى.. اقرأى الفاتحة.. وخذى قطعة خبز بسكر ارميها فى البير والقطعة الأخرى فى فمك..

وكانت هى تتمتم ببعض الآيات وتلف الأستك حول وسطى.. وتترك الباقى فوق مؤخرتى ثم ربطته وقفلت القفل على العقدة التى عقدتها فى مؤخرة "الأستك"

- بعد شهر تفكى الأستك.. والقفل ينفك لوحده
- ربنا يجعل فى إيدك الشفاء

وذهبت إلى منزلى وأنا ألهث.. وأخبرت حماتى بما حدث.

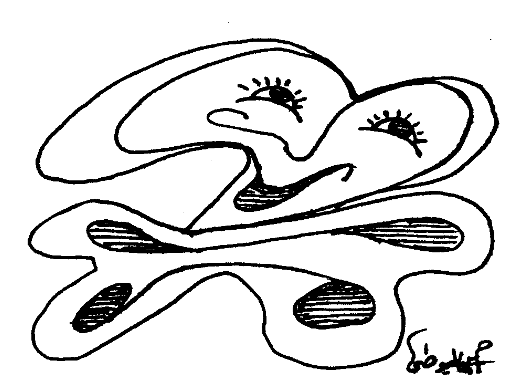
- ادخلى غرفتك.. ارتاحى.. وهاتى الولد معى.

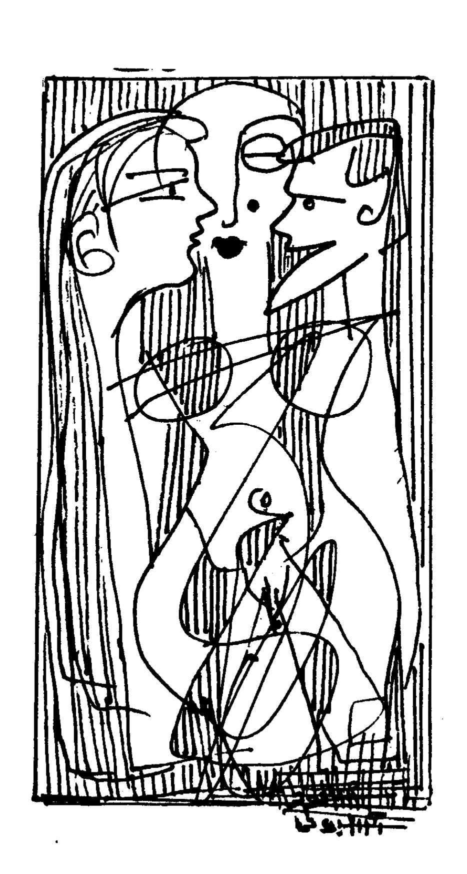
حضر زوجى من عمله وهو يتألم

- ظهرى.. ظهرى.
- إيه يا بنى.. انت لازم بتنام والمروحة دائرة

- أيوه يا أمى

علشان كده أنت ومراتك ظهركم أخذ برد.. أنت ومراتك عايزين كاسات هواء لمدة ثلاثة أيام..





مشوار كاسات الهواء

المشوار الثامن

جلست الحماة لتجهز كاسات الهواء.. أحضرت قطعة قماش ثم قصتها إلى ست قطع مقاس عشرة فى عشرة سنتيمتر، ثم أخذت تضع فى كل قطعة قماش ملعقة ملح وتربطها، وتلف خيطا حول صرة الملح إلى أن اكتملت الست صرر وقصت أطراف كل صرة.

أحضرت صينية عليها ست اكواب كبيرة وطبق صغير به "سبرتو" وعلبة كبريت.. وفى المساء، وبعد أن أنهت صلاة العشاء نادت على زوجة ابنها:

- انتى أخدتى حمام؟
- أيوه يا نينه

- بعد ما اعمل لك كاسات الهواء تدخلى تنامى على طول علشان ضهرك ما يخدش برد.
- حاضر بس لما جوزى يرجع مين حيجهز له العشاء؟
- أنا حاجهزه له وكمان أعمل له كاسات الهواء..

ثم أحضرت الأكواب والسبرتو وقالت:

- نامى وارفعى هدومك من على ضهرك علشان النهارده أعمل لك ست كوبيات، وبكره أربع كوبيات، وثالث يوم كوبين وإن شاء الله يكون الشفاء..

أمسكت أول صرة ووضعت أطرافها المقصوصة فى السبرتو، ثم أشعلتها، ووضعتها على ظهر زوجة ابنها فى وضع رأسى، وصرة الملح هى القاعدة، ثم قلبت الكوب فوق الظهر وهى تضغط، يمتص الكوب الألم، وتنطفئ الصرة، ويظل الكوب يشفط، وتكرر العملية إلى أن تنتهى الست أكواب، ثم تغطى ظهرها بملاءة وتنتظر نصف ساعة، ثم تبدأ فى خلع الأكواب من على الظهر بأن تمسك الكوب بخفة، وعند فتحة الكوب تمد يدها الثانية وتضغط بإصبع على جسمها لينفك الكوب وينخلع.

وبعد فك الأكواب تضع ملعقة زيت وتدهن به الظهر، ثم تغطيها حتى تنام إلى أن يزول الألم.

فى اليوم الثانى هرولت زوجة الابن إلى الحماة وهى تقول:

- نزل علىّ هذا الصباح دم

انزعجت الحماة وقالت:

- البسى هدومك بسرعة علشان نروح المستشفى

بعد الكشف والتحليل وجد الطبيب أن الزوجة حامل، لكن نزول الدم بكثرة كان السبب فى عدم ثبوت الجنين.. لابد من عملية تنظيف..

وبعد العملية كانت الحماة تلوم نفسها وتتحسر وهى تحدث نفسها:

- أنا السبب

وبعد مازال أثر البنج من الزوجة حضر زوجها إلى المستشفى:

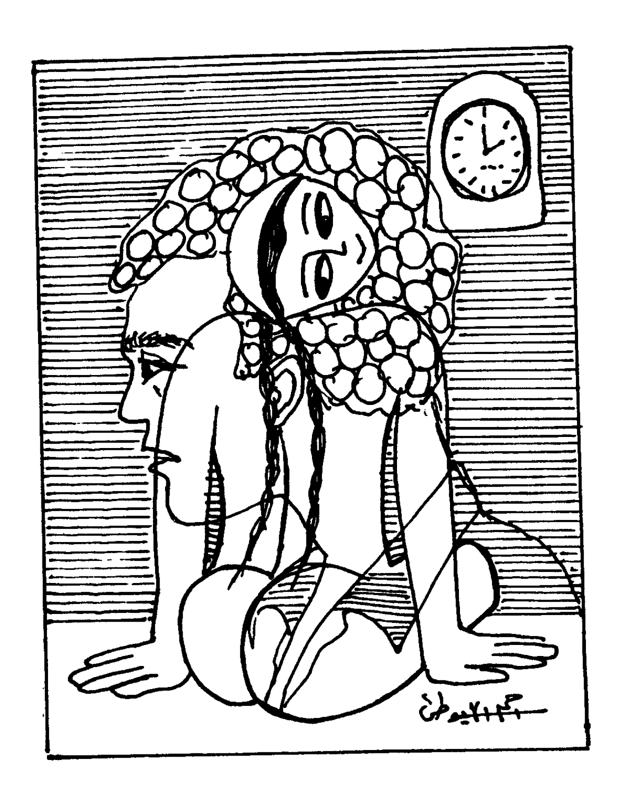
- خير يا أمى

- الحمد لله على كده

ولم يعلم الابن بأن كاسات الهوا هى السبب، وكتمت الأم فى صدرها النار، وقبل أن ينصرف الابن قالت له:

- يا ابنى وأنت راجع من الشغل هات معاك لوز

وسوف أخبرك ماذا تفعل به بعد خروجها من المستشفى.



مشوار اللوز

عاد الابن متأخرا من العمل.. الألم يعتصره، ومن شدته أحنى ظهره.. طرق الباب، استيقظت الأم من نومها منزعجة فهى لم تتعود انتظار ابنها بعد أن تركت هذه المهمة إلى زوجته، وتذكرت أن الزوجة فى المستشفى الآن:

- مساء الخير يا أمى
- مساء النور عليك يا ابنى.. كيف حال مراتك؟
- بخير ولسه راجع من عندها.. وبكره خارجة بعد توقف النزيف.. والسقط لم يترك أثرا.. وممكن تحمل تانى زى ما قال الدكتور.. وربنا يكرمنا

ثم أخرج كيسا من جيبه وهو يتأوه:

- خدى الكيس ده يا أمى
- إيه ده؟

- ده اللوز اللى طلبتيه، لمين اللوز ده يا أمى؟
- علشان مراتك.. أخبرتنى أم سعيد جارتنا أن حماتها أحضرت لها اللوز لما سقطت فى العيال اللى كانت حامل فيهم قبل سعيد
- بتقولى عيال..؟
- أيوه كانت حامل فى اثنين، لكن الرحم لم يتحمل لأن سنها كان صغير، فنزل دم كثير، وبعد كده حملت واتزحلقت فسقطت تانى.. حماتها كانت تقشر لها خمس حبات لوز.. تأكله على الريق قبل الفطار، علشان اللوز ده فيه حاجة ربانى بيرطب زى اللبن، علشان البطن بتكون سخنة جدا ما تخليش الحمل يثبت فى الرحم..

ثم اقتربت منه وهى تأخذ الكيس:

- إن شاء الله بعد ما تخرج مراتك من المستشفى حقشر لها اللوز علشان بطنها ما تبقاش سخنة، وربنا يعوض عليكم بالخلف الصالح..
- خدى يا أمى حطى اللزقة على ظهرى

أخذت الأم اللزقة –الطبابة– ولم تنطق بأى حرف أو كلمة، ولكنها فى سريرتها كانت تقول:

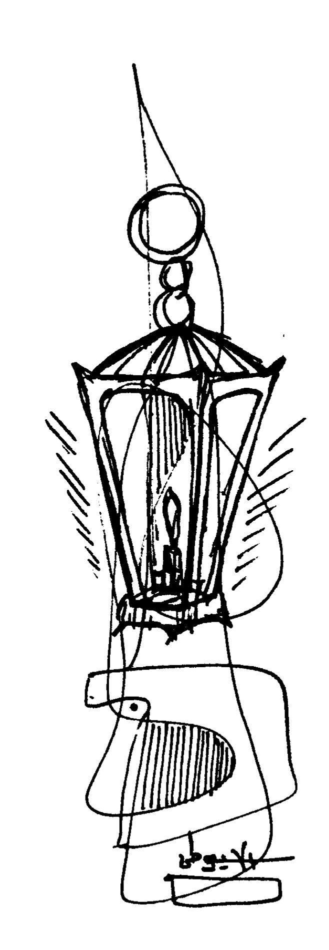
- تعال أعمل لك كاسات هواء

نظرت الأم على غلاف اللزقة، كان مرسوما عليها أسد، نزعت الغلاف، ووضعت اللزقة على ظهره وهى تقول:

- بكره فرح سعدية بنت أم سعيد.. داخت معها أمها لحد ما إتفكت عقدتها بابن الحلال .
- بس دى كبيرة يا أمى
- البنت لم تعدى العشرين سنة نقول فاتها قطار الزواج.. كان آخر حاجة لما الشيخ فك لها العمل المربوط
- لسه يا أمى بتصدقى الخرافات دى؟
- أيوه يا ابنى.. فيه حاجات بتجيب نتيجة.. وكله بالبركة.. عارف سعدية أعطت أم سامى منديلا فيه سبعة ريالات فضة علشان تنفك لها سرة، وبعد فترة صغيرة جالها ابن الحلال، وبكره فرحها..
- يا أمى دى صدفة عجيبة..

ثم بعد أن انتهت من دعك اللزقة على ظهره قالت له:

- نام على ظهرك علشان اللزقة تسخن وتمسك وتشد الرطوبة والتعب من جسمك.



مشوار المنديل

المشوار التاسع

مع بداية شهر رجب هلّت ترفرف الأصوات من داخل السيارات تردد "لبيك اللهم لبيك".. كان أول فوج يسافر إلى العمرة.. خفق قلبى فى حب زيارة رسول الله.. كانت حماتى قد أرسلت فى طلبى لأجهز لها ملابس العمرة، فأنا أجيد فن الخياطة، أحضرت ثوب قماش أبيض، وقالت لى:

- قصيه لى عباءة.. وقميصين

فردت القماش وأمسكت المقص.. كان المقص فى يدى خفيفا وسريعا.. لم اشعر بأننى قصصته.. أحضرت الماكينة، لضمت الخيط فى الإبرة ورجلى على الدواسة، وأمسكت القماش من أول غرزة تشابكت مع بعضها، وجرت فى يسر وسهولة، وقرب على الانتهاء بسبع لفات، وكأننى أتممت السبعة أشواط

بين الصفا والمروة، على صدر القميص أشارت لى حماتى أن أصنع جيبا كبيرا حتى تضع فيه المناديل.. ما هذه المناديل..؟

مشوار المناديل

- هاتى منديل يديك القماش.. ليس المنديل الهاندى.. واعقديه سبع عقدات.. وعندما أصل أرض الحجاز وأنا فى الطواف فى كل شوط أفك عقدة، إلى أن أتم السبعة أشواط أكون قد فككت السبع عقدات.. وربنا يرزقك بذرية صالحة..

وهى فى انتظار الفرحة أن تدق بابها، انتظرت طويلا، لم يدق الباب، فقدت الأمل فى أن تفرح مثل بقية البنات.. قالت لها جدتها:

- يا ابنتى هاتى منديلا يخصك، وضعى فيه سبع ريالات فضة، واربطيه ربطة واحدة.. عندما تسافر جارتنا أم سامى إلى العمرة سأعطيها المنديل.. وعندما تطوف حول الكعبة تضع فى كل ركن ريالا فضة إلى أن تكمل السبعة أطواف، تكون السبعة ريالات فى سبعة أركان، وربنا يفرحك.. ويدق بابك بالفرح بقدوم العريس.. وتعلق الزينة، وتنطلق الزغاريد مع رجوع الحجاج..

مشوار غيط الباذنجان

المشوار العاشر

جلست على الأريكة مهمومة من الآلام التى تنتابها بين الحين والآخر.. ارتجفت أم سعيد عندما أحست أن ساقيها لم تعد قادرتين على حملها.. رفعت رجليها المتدليتين على الأريكة وصوت أنين من داخلها يخرج مع الآهات، طرق باب الشقة طرقات سريعة.

- مين على الباب
- أنا يا أم سعيد افتحى بسرعة يا اختى
- إيه يا أم سعد خير.. فيه إيه
- بنتى بتولد يا اختى ومش عارفة أعمل إيه
- ما تخافيش تعالى جهزى شويه ميه سخنة

هرولت الاثنتان إلى الشقة العلوية التى تقطن فيها أم سعد دخلتا على الابنة.. كانت تطلق آهة خفيفة

- ظهرى.. ظهرى.. إلحقونى

نظرت إليها أم سعيد قائلة

- لسه بدرى انت نسيتى الولادة ولا إيه.. اسلقى لها بيضتين علشان تاكلهم دى طلقها بارد.

وكان الحديث موجه لأم سعد، بعد أن أكلت البيضتين جلست الاختان ترتشفان كوبين من الشاى بالنعناع حتى يهدئ من أعصابهما.. أطلقت الابنة صرخة شقت سكون الليل.

- الحقونى.. فيه حاجة نزلت منى

وجرت الاختان وقالتا فى نفس واحد

- صلاة النبى أحسن.. ده القرن طش.. ارتاحى وأول ما الطلقة تيجى خذى نفس عميق على تحت.
- آه جاية.. جاية.. راحت.. أنا حاروح الحمام
- لا يا بنتى ده تقل من البيبى.. احزقى مع الطلقة أول ما تيجى.
- آه.. يا رب..آه
- صلاة النبى أحسن..كمان وكمان.. نفس على تحت

وأطلقت صرخة ممدودة

- صلاة النبى .. مبروك.. مبروك جالك ولد

ثم نظرت إلى اختها أم سعد قائلة:

- ها تسميه إيه يا أم سعد
- انتى سميه يا اختى.. وشك حلو عليا وعلى بنتى.
- اخترت له اسم مسعد.. يا رب يكون مسعد على الكل..

ونزلت أم سعيد شقتها وجلست على الأريكة ورفعت رجليها ثم مدتهما أمامها ومدت يدها أسفل المسند حتى تلتقط أنبوبة المرهم لتدهن رجليها.. واطلقت آهه حزينة على ابنتها التى لم تنجب بعد وفاة مولودها الأول.. ثم تمددت بجسدها على الأريكة حتى الصباح ونامت.

انبثق الفجر.. كانت تأتى طرقات خفيفة على زجاج شراعة الباب.

- مين على الباب.
- أنا يا اختى.. خذى كوباية حلبة بعسل.. اشربيه علشان يدفيكى عايزه حاجة من السوق.
- لا عندى أكل امبارح.. حا تعملى إيه النهاردة.
- حاعمل فرخة علشان الوالّدة.. واحنا مسقعة.
- لا .. يا اختى.. لا البادنجان يشهر الولادة..

- فكرتينى يا أم سعد.. يكون بنتى حد دخل عليها وهى بتولد بالباذنجان.

نعمل مشهرات

أم سعيد اخذت ابنتها وذهبتا إلى غيط الباذنجان وقالت لابنتها:

- فكى ايشاربك من على رأسك وادخلى الغيط.

ثم وقفت خلفها أم سعيد وامسكت باذنجانة كبيرة ثم قطعتها نصفين وقالت لابنتها

- اخلعى البنطلون وتبولى على نص الباذنجانة علشان يتحرق قلب الباذنجانة وتتفك عندك المشهرات.

وخرجتا من الغيط مسرعتين إلى المنزل قبل أن تغرب شمس اليوم عليهما.. حتى تستعدا لتحضير حفل السبوع. يرن الهون.. ترن.. ترن..

- اسمع كلام أبوك.. اسمع كلام أمك.. حلقاتك برجالاتك.. حلقة دهب فى ودناتك..

مشوار نصف الليل

هدأت الحركة فى الشارع، أغلقت المحلات أبوابها، خيم السكون فى آخر الليل.. انطفأت الأنوار، سكت الشبابيك إلا شباك ظل النور مضاءا فى غرفته.. كانت أم سعد تحمل طفلها وهو يبكى بكاءا شديدا.. لم يغمض له جفن.. فشلت فى تهدئته حتى بعد أن أعطته كوبا من النعناع الساخن.. تحيرت كيف تعالج ابنها، خطر ببالها أن تنزل إلى أختها التى تقطن فى الشقة التى تحتها، تخبرها عن بكاء ابنها المتواصل لعلها تجد عندها تفسيرا لهذا البكاء ومما يشتكى.. حملت طفلها، لفته فى غطاء ثقيل، فتحت باب الشقة، وجدت أن السلالم تغرق فى الظلام، ضغطت على زر النور الذى أضاءه مصباح على باب الشقة، نزلت درجات السلم، توقفت وهى تصرخ وترتعد.

كان شئ أملس ينزلق من بين رجليها، لملمت خوفها بداخلها حتى لا يسقط ابنها من يديها، نزلت درجات، توقفت مرة أخرى عندما سمعت مواء قطتين تقفان أمام بعضهما وتتعاركان بشدة وشراسة، ولاحظت أن عينيهما ينطلق منهما ضوء مثل البرق الخاطف.. خرج صوتها مرتعشا..

- بس.. بس. بس..

اندفعت نحو باب أختها أم سعيد، وعلى شراعة الباب أخذت تطرق بإصبعها طرقات متتالية، أضاء النور من خلف الزجاج الخاص بالباب، فتح الباب، وكانت تفرك عينيها من أثر النوم..

- إيه يا أختى؟ خير حصل حاجة؟
- الولد ما بطلش عياط طول الليل.. عملت له شوية بخور يمكن يكون محسود وشيلاه بين إيديا رايحة جايه لحد ما تعبت واحترت
- هاتى كده احسن يكون ممزوق

مدت أم سعيد يدها تحت ملابسه حتى وصلت إلى أعلى كتفه، صرخ الطفل من الألم..

- ممزوق يا أختى.. علشان كده ما بطلش عياط
- امبارح أبوه مسكه بين إيده وكان بيمرجحه

- جسم الولد ثقيل وذراعه ضعيفة على حمله يبقى اتمزق.. لحظة حاسخن معلقة زيت أدلك بيها صدره وكتفه..

وبعد أن انتهت من التدليك، خلعت الإيشارب من تحت الطرحة التى تلتف بها، وربطت به كتفه، ولفته من تحت الإبط وحول الصدر، ثم ربطت أطراف الإيشارب على الذراعين.. سكت الولد ونام، حملته أمه وتركت أختها:

- تصبحى على خير يا أختى

خرجت وأغلقت الباب وراءها.. صعدت السلالم للوصول إلى شقتها.. توقفت ونظرت، وجدت القطة نائمة على باب الشقة وبجانبها أولادها الصغار ينامون فى أحضانها، والذى تصادف أن يكون مولدهم الليلة..

انبثق نور الصباح بعد أن ظهر الخيط الأبيض من الخيط الأسود.. وقفت على بسطة السلم الخاص بشقتها وهى تبتسم.



مشوار ليلة الجمعة

بعد يوم شاق فى تنظيف وترتيب المنزل حتى أستريح غدا فهو يوم أجازة.. دخلت الحمام.. أخذت حماما دافئا، خرجت منه كلى نشاط وحيوية.. لبست أجمل قميص نوم، وقفت أمام المرآة.. رجعت خطوتين للوراء.. لففت حول نفسى مرتين وأنا ممسكة بطرف ذيل القميص.. توقفت أمام المرآة.. امتدت يدى إلى زجاجة العطر التى يحبها (فام شيك).. أمسكت قلم الكحل ومررته على عيني مرتين بعد أن أغلقت طرفى الرموش عليه.. باقى أحمر الشفاة ليضع لمساته على شفتى..

فجأة دق جرس الباب.. امتدت يدى إلى الروب، ووضعته على كتفى قبل أن تمتد يدى على المقبض.. فتحت الباب، دخل زوجى وهو يحمل بعض أكياس من الفاكهة..

جهزت له العشاء بعد أن أخذ حماما دافئ، وجلس يتناول العشاء، جلست معه نرتشف كوبين من الشاى الدافئ، دخل غرفة النوم بسرعة.. دخلت خلفه.. لكن كانت دهشتى عندما لم تمتد يده على جسمى.. أحسست أن هناك شيئا يخفيه.. انتظرت للحظات، ثم مددت يدى حوله وأنا أقول:

- أنت مجهد من العمل
- لا ليس عندى رغبة..
- لا تشغل بالك.. يكفى وجودك بجانبى وحبك وحنانك..

أغمضنا عيوننا حتى الصباح.. على زقزقة العصافير صحونا..

- صباح الخير يا حبيبى..

كانت ابتسامته حزينة هذه المرة.. لبس جلبابه الأبيض، وخرج ليصلى الجمعة.. صعدت إلى شقة حماتى أخبرها عن زوجى وما يحدث له، وأنه مخنوق، ويحس بضيق.. قالت حماتى:

- نعمل مشهرات

المشوار الحادى عشر

قالت حماتى:

- امسحى الشقة بماء وملح و"رجلة" وعرق حلاوة تحضريه من عند العطار..

ذهبت إلى العطار، وطلبت منه رجلة وعرق حلاوة، سألنى العطار:

- علشان إيه الحاجات دى؟
- أمسح بيها الشقة، علشان يفك النكد.. زوجى لم تعد له رغبة فىَّ..
- زوجك معمول له عمل
- عمل.. أعمله إيه يا حاج وإزاى أفك العمل؟
- حاجة بسيطة.. هاتى مائة جنيه علشان أشترى بيها طلبات الأسياد.. وتعالى بعد يومين أكون جهزت لك كل حاجة..

ذهبت بعد يومين للعطار..

- سلام عليكم يا حاج..

مد يده امسك يدى..

- تحبى أشوف لك الكف

سحبت يدى بسرعة بعد أن اقشعر جسمى..

- لا..لا.. أنا كويسة.. الأهم عندى زوجى.. فكيت له العمل..؟

وقف لحظة فى سكوت وهو ينظر لى، ثم قال:

- خدى هذا الحجاب، ضعيه تحت المرتبة التى ينام عليها، وهذا فى جيبه، وضعى هذه الأعشاب المطحونة فى برطمان عسل نحل، وكل يوم ياخذ معلقة قبل النوم، وهذه ثلاث وريقات فيها بخور، كل يوم يتبخر بواحدة قبل المغرب ويرمى البخور المحروق فى الشارع..

ذهبت إلى المنزل، وأخبرت حماتى بالوصفة التى قالها لى العطار، قالت:

- خد من عبد الله واتكل على الله..

وبعد أيام كانت الحالة تزداد سوءا يوما بعد يوم، والنفور يزداد بيننا.. لم أخبر أحدا، وكتمت أسرارى فى صدرى، سألتنى حماتى عن النتيجة، قلت:

- إحنا بقينا كويسين

فى طريقى إلى السوق دخلت محل العطار..

- سلام عليكم يا حاج

- وعليكى السلام.. زوجك عمل إيه؟

صمت لحظة وقلبى يحدثني بشئ غريب، وإحساسى يراودنى، فى لهجة سريعة قلت:

- الحمد لله الحالة كويسة وعال العال

- أخدتى حمام النهارده؟
- طبعا.. امبارح كان الخميس.. وعلى راى المثل "النهارده الخميس والنبى عريس"..

ضحكت وأنا أشعر بالمرارة من هذه الكذبة.. وذهبت أقضى طلباتى من السوق.. لكن قلبى لم يرتح، ومشيت طوال الوقت افكر فى نظرات العطار، والحالة التى وصل إليها زوجى.. رجعت المنزل وأنا فى ضيق شديد.. عاد زوجى من عمله وقال لى:

- أنا رحت للدكتور النهارده
- ليه يا حبيبى ما أنت كويس والحمد لله..

بعد العشاء دخل زوجى يصلى.. بعد أن أنهى صلاته أمسك بالمصحف يقرأ فيه.. نظرت إليه ودخلت لأتوضأ، وصليت ركعتين لله، امسكت المصحف أقرأ فيه بجانبه.. وبعد آية الكرسى، ثم المعوذتين، حتى يحفظنا الله من كل شر.. أمسك زوجى يدى، قبلها..

وكانت هذه القبلة هى التى أعادت ماء الحياة التى جفت بيننا.



مشوار جلا.. جلا

دخلت المطبخ لتحضير كوبين من الينسون حتى تخفف ألم معدتها التى انتابتها بعد يوم شاق.. أشعلت عين البوتاجاز الصغيرة، فتحت صنبور الماء.. مدت يدها على الكنكة الكبيرة، ووضعتها تحت الصنبور المفتوح.. امتلأت عن آخرها.. أغلقت الماء.. سكبت بعضا من الماء ووضعتها على شعلة البوتاجاز.. جهزت كوبين ووضعت السكر والينسون.. على الماء، سكبته فى الكوبين، وضعتهما فى صينية، حملتها بين يديها المرتعشتين، سقطت منها الصينية، انزعجت أختها، هرولت إليها مسرعة..

- سلامتك يا أختى..

مدت يدها تساعدها فى حمل الصينية والزجاج المتناثر، لملمت الكليم المفروش على الأرض، ووضعتاه على سور الشرفة حتى

الصباح، عندما تشرق الشمس وتنشر أشعتها يجف بسرعة، جلست الأختان تتحدثان:

- إيه يا أختى ظهر عليكى التعب..؟
- كان فين مستخبى ده.. جوزت ابنى علشان أرتاح مفيش راحة.. مرات ابنى جالها وجع شديد، سندتها لما قعدتها فى الفراش.. والنهارده أردت أن أدخلها الحمام علشان أبدل لها ملابسها.. أنزلتها من على السرير.. أجلستها على شوال كنت أحتفظ به بعد أن فرغ من الدقيق، غسلته.. بكل قوتى كنت أجرجر الشوال حتى أدخلتها الحمام، وهى جالسة عليه لا حول ولا قوة..
- هى بتشتكى من إيه بالضبط؟
- رجلها ما بتقدرش تمشى عليهم.. جارتنا أحضرت لنا من أسبوع رجل أعرابى عمل لها خزام فى رجلها وكوى مكان الجرح، وأخرج الدم الفاسد منها.. لكن لم تتحسن أبدا..
- يا أختى دى عليها عفريت.. نعمل لها مشهرات..

المشوار الثانى عشر

- نعمل لها زار.. فيه شيخة وكلها بركة.. بكره أحضرها وأشترى كل طلباتها التى تحتاجها فى البخور فى اليوم التالى..

كانت طرقات على الباب سريعة.. هرولت الحماة وفتحت الباب.. كانت أختها، وأحضرت معها الشيخة مسعدة.. كانت خطواتها هادئة، وروائح البخور تنتشر حولها.. ثم انطلق صوتها:

- دستور يا أسيادنا..

ومن خلفها تردد بعض النسوة:

- الله حى.. الله حى

تركت الحماة الباب مفتوحا إلى أن دخل الجميع، وقالت الشيخة:

- هاتى المريضة يا حاجة.. بأمره سوف تشفى..

كان الأتباع يرددون:

- دستور يا أسيادنا..

وبدءوا يقيمون خيمة داخل الغرفة بالملاءات، ثم وضعوا المريضة تحتها، ثم دخلت الشيخة تحت الملاءة وهى تردد بعض الكلام غير المفهوم، وبعض النسوة يرددن معها ممسكين الدف،

إحداهن ممسكة "مقياض" فخارية فحم مشتعل يوضع عليه البخور المحوج بعين العفريتن وبين الحين والآخر ترش البخور، فينتشر الدخان ويغطى المكان، فى هذا الوقت حضر الابن من عمله..

- إيه ده يا أمى؟
- دى الشيخة مسعدة.. سوف تخرج العفريت الذى يسكن جسم زوجتك حتى تسترد عافيتها..
- حرام يا أمى.. انت حاجة بيت الله.. دى بتنصب عليكم.. تحبى تشوفى بعينيك..؟

فى هدوء مد رأسه تحت الملاءة وقال:

- مدد.. مدد.. بركاتك يا شيخة..

وفى صوت خفيض قال لها:

- هاتى الفلوس أحسن أفضحك وتخرجى من هنا بزفة..

وكان يتكلم وهو يحرك إصبعه الأوسط لها بحركات متتالية..

مد يده فى يد أمه ووضع لها بعض الجنيهات:

- خدى من الشيخة حتى لا أفتح فمى..

هرولت الأم بسرعة إلى المطبخ، وكانت أختها تهرول ورائها:

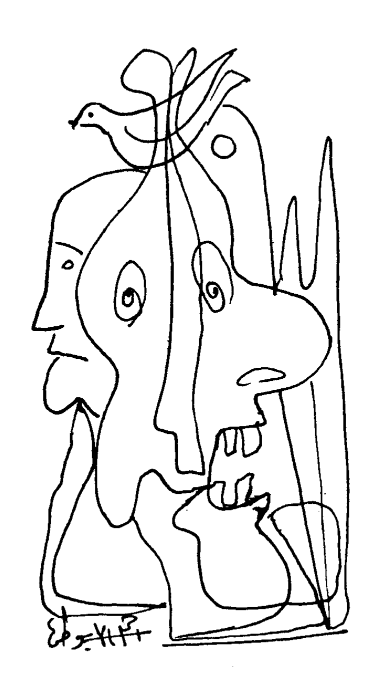
- فيه إيه يا أختى؟

- خدى جردل الميه ده وتعالى ورائى

أمسكت الأم المكنسة وجرت وراء الشيخة مسعدة ومن معها وهى تدفع بهم من على السلالم..

- أخرجى يا وليه يا..

ثم قذفت أختها بجردل الماء عليهن.. ووقف الجميع على السلم وهن يضحكن..





طبق أرز ولبن

طرقات على الباب، وقت أذان الظهر، فتحت، ورأيت يدا تمتد بطبق أرز باللبن، أخذته وصوت يقول لى:

– ده ندر.. ابنى شفاه الله

دعوت لها أن يبارك الله لابنها ويكون من نصيبها فى الدنيا.

أغلقت الباب، ووضعت الطبق على الترابيزة لحين عودة الأولاد من الجامع، حتى يأخذ كل واحد ملعقة من هذا الندر.

دخلت غرفة الأولاد لأرتب لهم أدواتهم، وأغيّر مفارش السراير.. على المكتب كانت الأوراق مبعثرة وبعضها ممزقا، لملمت الأوراق الممزقة ووضعتها فى السلة أسفل المكتب، وأنا أدعو لأولادى بالنجاح، وكان بين الأوراق جدول الامتحان، أخذته وشبكته على الحائط بدبوس حتى يكون أمام عيني..

خرجت من الغرفة بعد أن تأكدت أن الغطاء لازال على الكمبيوتر، لأنه ممنوع استعماله قبل الامتحان وأثنائه، حتى يفرغ الأولاد للمراجعة، ويكونوا على أتم الاستعداد.

عند مروري بجوار الترابيزة وقع بصري على طبق الأرز باللبن، تذكرت عندما رزقنا الله بأخي الأول، ندرت له امي بعض النذور منها: إنه طوال السنة الأولى كان يلبس ملابس "شحاتة" من الأقارب والجيران.. ثم كانت امي تلبسه "مريلة" سوداء فوق الملابس.. سألتها عن السبب فقالت لي:

- علشان تأخذ العين الحسودة.. وربنا يشحتهولي..

وعلى صوت طرقات على الباب أيقنت أنهم الأولاد.. فتحت الباب وهم يدخلون.. قالوا:

- السلام عليكي يا أمي..
- سلام ورحمة الله وبركاته.. ليه التأخير..
- كان فيه درس بعد الصلاة.. عن صلة الرحم..

لحظة صمت.. ثم تنبهت وأنا أقول:

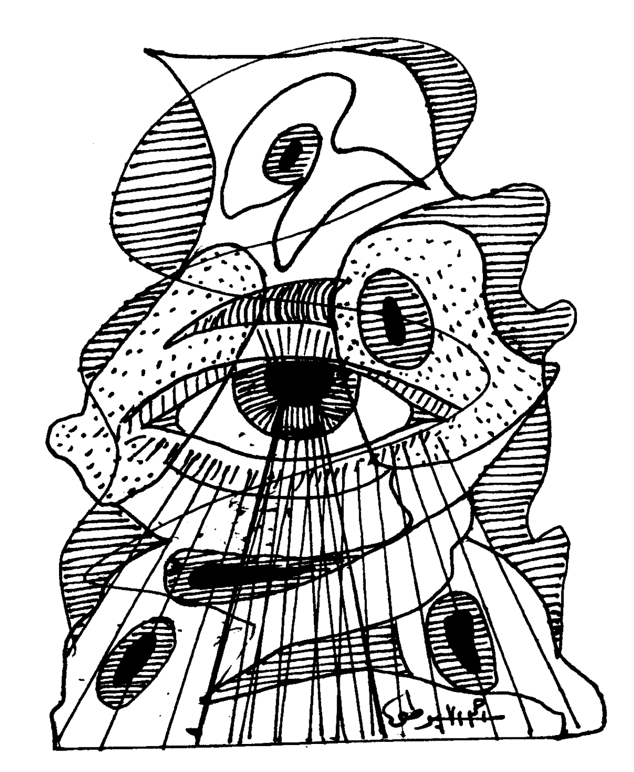
- يالله يا ولاد كل واحد ياخد معلقة رز باللبن علشان تكون سنة بيضا علينا زي اللبن..

عندما جاء دورى فى تناول ملعقة الأرز باللبن كانت الابتسامة تملأ وجهى.. فسألنى الأولاد عن سبب هذه الإبتسامة:

- إيه يا ماما ضحكينا معاكى..؟
- إفتكرت وأنا فى مثل عمركم.. حملت صينية فيها رز باللبن.. وذهبت أنا وأختى بيها إلى سيدى حسن أبو طرطور.. ده مقام صغير مدفون فيه شيخ بركة بتتبارك به الستات لأطفالهن.. فكان المزار يوم الجمعة، وبعد الظهر تجتمع الستات وأطفالهن حول المقام من الخارج، وكل من يحمل ندره تلتف حواليه الأولاد والبنات، ويأكلون الندر.. كان حارس المقام يدخل واحدة واحدة تزور وتخرج.. أما الطفل المريض كان يضعه بجانب المقام لحظات حتى يتبارك به ويشفى الطفل.. وأنا حاملة صينية الأرز باللبن فى طريقى إلى مقام حسن أبو طرطور، وقفت أمام محل المصوراتى، وشجعتنى أختى لن ندخل المحل، ونأخذ صورة أنا وهى، وبعد أن تصورنا قالت لى أختى وهى تضحك: يا ريت كنا اتصورنا بصينية الرز باللبن.. عندما وصلنا إلى المقام كان كثير من الناس تلتف حوله.. لم نشعر إلا والصينية

تتخاطفها الأيدى.. وتعود إلينا من غير أن تكون فيها حبة أرز واحدة..

سكت عن الكلام عندما رفع آذان العصر.. توضأ الأولاد استعدادا للذهاب إلى الجامع.



دوائر من حولى

رجع ابنى اليوم والنظارة فى يده.. لقد لبسها سنوات كثيرة كانت آثارها تحفر مكاناً على أنفه.. كانت الصدمة مفجعة وأنا أتفقد وجهه جيداً والأهم عينيه.. كانت حول العين اليمنى خربشه خفيفة.. الحمد الله "العين عليها حارس"، مد يده التى كان يخفيها خلفه وأعطانى النظارة.. كانت الدهشة.. لقد انكسرت الدائرة التى حول الزجاج وتفتت الزجاج الذى بداخل الدائرة، توقفت مكانى ودرت حول نفسى.. تقدمت نحو التليفون أدخلت الرقم المطلوب وأدرت القرص لأحجز عند طبيب العيون.. دخلت المطبخ أجهز له الغداء.. مددت يدى أمسكت الولاعة حتى أشعل عين البوتاجاز.. كانت عين الشعلة نارها مرتفعة والنار زرقاء مثل لون البحر وأنا أشاهده من بعيد وقرص الشمس يحضن المياه.. وضعت على العين المشتعلة طبقا مدور مددت يدى على زجاجة زيت الذرة وضعت قليلاً منها وبسرعة التقطت يدى

صوت وصورة

(١)

دخلت أمى الغرفة مسرعة، أحسست بخطواتها، توقفت أمام السرير.. نظرت إلى المكتب، مدت يدها، أغلقت زر المنبه الذى علا صوته على صوت الموبايل.. جلست على الأريكة ممسكة بالجرائد القديمة وأنا اتفقدها من تحت الغطاء.. طوت الصفحات بسرعة، ووضعتها بجانبها، وضعت يدها على إحدى عينيها، وبدأت تنظر بالعين الثانية.. ثم بدلت وضع يدها، ووضعتها على العين الأخرى.. بدأت تمشى خطوات وهى مغمضة العينين، وقبل أن تصطدم بالحائط وقفت.. نظرت حولها، ثم أخذت تتأملنى.. على حافة السرير جلست، ومدت يدها فى رقة وحنان حتى توقظنى:

- اصحى يا بنى.. باقى نص ساعة على موعدنا عند الدكتور..

بسرعة جهزت له الطعام.. شاهدت أبى فى كامل ملابسه.. أمسك سجادة الصلاة وفردها على الأرض ووقف يصلى.. أنهى الصلاة، ونزل حتى يخرج السيارة من الجراج.. بعد قليل سمعنا صوت كلاكس السيارة.. بسرعة نزلنا أنا وأمى، وقفنا قليلا أسفل العمارة حتى يهدأ المطر الذى تصادف سقوطه فى هذا الوقت.. ركبنا السيارة وانطلقت بنا قاصدين شارع سوريا.. وامام مركز حورس توقفت.. عبرنا الباب الزجاجى الكبير وصعدنا السلالم الرخامية، ثم مشينا طرقة طويلة من خلالها، دخلنا من باب أكورديون يقابله مكتب استقبال جلست ثلاث فتيات يأكلن سندوتشات فول وفلافل مع أكواب شاى باللبن.. ضحكن عندما قال لهن أبى:

- أنتم خارجين من بيتكم جعانين..؟

تعالت الضحكات.. سألتنى إحداهن وهى ممسكة ببعض الأوراق:

- اسمك إيه..؟ سنك كام..؟ ساكن فى شارع إيه..؟ تليفونك نمرته كام..؟

ضحكنا جميعا، وجلسنا فى الاستراحة حتى يحضر الدكتور..
عيناى بدأت تلتقط عبر الشباك الزجاجى بعضا من الأجهزة الحديثة المتقدمة فى الكشف على العيون.. نادى الدكتور على اسمى.. دخلت غرفة الكشف.. جلست أمام أول جهاز، ونظرت بعيني عبر الفتحة البنفسجية والدوائر التى بداخله.. كأنه طريق به سباق سيارات لعب وجيم.. بدون أن يكون فى يدى هاند أتارى.. جلست أمام الجهاز الثانى لكشف قاع العين، ثم امتدت يد الدكتور ممسكة بقلم عجيب به سلك متصل بجهاز يتحسس العين، ثم وضع لى قطرة حتى يجهزنى للعملية بالليزر.. خرجت أنتظر بجانب أبى.. جلست بعيدا عن جهاز التكييف.. بعد عشر دقائق دخلت حجرة العمليات.. وصوت الدكتور يرن فى أذنى أن أعد من واحد إلى عشرة..

(٢)

نادت الممرضة علىَّ:

- تعالى يا ماما

كادت الدهشة تستوقفنى وأنا أرى رأس ابنى مستلقية على صدره وهو لم يفق من البنج، وملصق على عينيه غطاء شفاف مخرم، أفاقنى صوته وهو يبكى:

- ماما.. ماما..

أمسكت بيده وأنا أقول له:

- أنا هنا يا حبيبى

رفع رأسه قليلا، ولكنها مالت على الكرسى الجالس عليه.. حاول رفع يده، ولكنها سقطت بجانبه فى محاولة لنزع الغطاء الملصق بعينيه.. دخل الدكتور فابتسم وهو ينظر إلى ابنى.. وأنا أهدئ من عصبيته وقال لى بأنه استأصل طبقة دهنية من عينيه، وسوف تتحسن كثيرا.. وأوصانى بالانتظام فى وضع القطرة كل ساعة..

أفاق من البنج.. حملناه أنا ووالده عائدين إلى المنزل.. بعد نصف ساعة ضاع أثر البنج..

- أنا فين..؟
- إحنا موجودين فى البيت

ضحكت وأنا أقول له:

- أنت حاسس بإيه..؟
- رأسى ثقيلة.. عايز أرفع اللزقة اللى على عينى
- لا يا حبيبى بعد يومين.. زى ما قال الدكتور.. خد الحبة دى حطها تحت اللسان.. دى مسكّنة للألم.

الفهــرس

الموضوع	الصفحة
مشوار (أبو القاسم)	٧
مشوار عائشة	١٧
مشوار الليلة المظلمة	٢٥
مشوار ليلة الحنة	٢٩
بقية مشوار ليلة الحنة	٣٣
المشهرات (١)	٣٧
المشهرات (٢)	٤٣
المشهرات (٣)	٤٩
المشهرات (٤)	٥٥
مشوار كاسات الهواء	٦١
مشوار اللوز	٦٥
مشوار المنديل	٦٩
مشوار غيط الباذنجان	٧١
مشوار نصف الليل	٧٥
مشوار ليلة الجمعة	٧٩
مشولر جلا.. جلا	٨٥
طبق أرز باللبن	٩١
دوائر من حولى	٩٥
صوت وصورة	٩٧

الكاتبة فى سطور

- منى سالم سعد الدين سالم
- من مواليد قنا – تعيش بالإسكندرية
- عضو اتحاد كتاب مصر
- تأثرت بحكايات الجدة
- نشرت أعمالها فى جريدة المساء-مجلة الكلمة المعاصرة- الإنترنت بموقع القصة العربية ومجلة أمواج سكندرية www.amwague.com- مجلة بلدى- مجلة حواء
- صدر لها:

١- بركان جبل الجليد-قصص- ٢٠٠٣

٢- شط الغريب- قصص- ٢٠٠٤

- تحت الطبع:

١- أوراق لم تسقط مجموعة قصصية

٢- طريق الأسفلت رواية

- يسر الكاتبة تلقى آراء القراء فى الرواية على العنوان التالى: ١٥٣ شارع محمد فريد (وينجت سابقا) الإسكندرية
- تليفون ٠٣/٥٠٢٢٧٩٠

صدر من مطبوعات القصة:

١	أنين المأسورين	قصص	بشرى أبو شرار
٢	الدخول إلى الكابوس	رواية	الشربينى المهندس
٣	عبد الله يقرأ طول الليل	رواية	محمد خيرى حلمى
٤	القـــلادة	قصص	بشرى أبو شرار
٥	على حافة الحلم	قصص	محمد عطية محمود
٦	بركان جبل الجليد	قصص	منى سالم
٧	ضجيج الصمت	قصص	آمال الشاذلى
٨	جبل النـــار	قصص	بشرى أبو شرار
٩	إلا الليل	قصص	فؤاد الحلو
١٠	أبجدية الدم	قصص	تهانى عمرو موسى
١١	احترم القاموس	قصص	محمد خيرى حلمى
١٢	أعواد ثقاب	رواية	بشرى أبو شرار
١٣	وخز الأمانى	قصص	محمد عطية محمود
١٤	العائلة	قصص	أبو نصير عثمان
١٥	شط الغريب	قصص	منى سالم
١٦	اقتلاع	قصص	بشرى أبو شرار
١٧	وريقات تجريبية سكندرية	دراسات	الشربينى المهندس
١٨	جداول دماء وخيوط الفجر	قصص	سناء أبو شرار
١٩	الشمس العمياء	رواية	أحمد محمد السعيد
٢٠	عيون	قصص	أبو نصير عثمان
٢١	شهب من وادى رام	رواية	بشرى أبو شرار
٢٢	تدحرج الصور	قصص	الشربينى المهندس
٢٣	المياه البديلة	رواية	أحمد محمد السعيد

رقم الإيداع: ٢٠٠٥/٢٦٢٣



